مقاصد السور القرآنية ووسائل كشفها

أ.د فاضل عبد العباس النعيمي الباحثة: سحر تركي مهجهج

كلية العلوم الإسلامية/ جامعة بابل

The purposes of the Qur'anic fence and means of detecting them

Sahar Turki Muhaghag Fadhil Abd Al- Abbas Al-Nuaimi

Faculty of Islamic Sciences\ University of Babylon

alnuami.Fadhil Yahoo@ Com. Shrtrky0@gmail.Com.

Abstract:

Many commentators have paid attention to the purposes of the surahs of the Noble Qur'an, and the first to singulate them by the Beqaa classification (d. 885 AH), which follows the intentions of the Noble Qur'an in its surah and singled out for it two books (The Looking Lifts to Supervise the Purposes of the Surahs) and "Systems of Durar in the Fit of Verses and Suras" and counting them as a science And put an end to it, and this does not mean that the old commentators have no knowledge of this subject or did not deal with it in their interpretations, but without mentioning an end to it and laying down ways to uncover it, we find from the interpreters who referred to the purposes of the wall as Al-Razi (d. 606 e) who took care of the purpose of the Surah and declared it, But he did not make it within the methodology of his interpretation, and also among the interpreters who relied on him to understand the Holy Qur'an, such as turquoise Abadi (d. 817 AH), who showed his care for the purposes of the wall and included it in the methodology of his book (Insights with Distinctions in the Sects of the Holy Book), and he went on to say that the one surah has counted purposes, without To refer to the overall destination linking these purposes and collecting them under its shades, while the modern interpreters had good efforts in this field.

Key words: the purpose of the surah, the purposes of the surah, and means of disclosure

الملخص

لقد أولى الكثير من المفسِّرين الاهتمام بمقاصد سور القرآن الكريم، وأوّل من أفردها بالتصنيف البقاعي(ت885هـ) الذي تتبَّع مقاصد القرآن الكريم في سوره وأفرد لها كتابين(مصاعد النَّظر للإشراف على مقاصد السُّور) و (نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور) وعدَّها علماً من العلوم، ووضع حدّاً له، وهذا لا يعني أنَّ المفسِّرين القدامى ليس لهم معرفة بهذا الموضوع أو لم يتناولوه في تفاسيرهم، ولكن دون ذكر حدٍّ له ووضع طرقٍ لكشفه، فنجد من المفسِّرين من أشار إلى مقاصد السور كالرَّازي(ت606هـ) الذي اهتم بمقصد السورة وصرَّح به، ولكن لم يجعله ضمن منهجية تفسيره، ومن المفسِّرين أيضاً من اعتمد عليه لفهم القرآن الكريم كالفيروز آبادي(ت817هـ) الذي أبدى عنايته بمقاصد السور وأدخلها ضمن منهجية كتابه (بصائر ذوي التَّمييز في لطائف الكتاب العزيز)، وذهب إلى أنَّ السورة الواحدة لها عدَّت مقاصد، دون أن يشير إلى المقصد الكلي الذي يربط هذه المقاصد ويجمعها تحت ظلاله، أمَّا المفسرون المحدثون فكانت لهم جهود طيبة في هذا المجال.

الكلمات المفتاحية: مقصد السورة، مقاصد السورة، وسائل الكشف عنها.

المقدمة

الحمد لله على حلمه بعد علمه، وعلى عفوه بعد قدرته، حمداً يوافي النعم، والصلاة والسلام على محمد النبي العربي العدناني سيد العرب والعجم، وعلى آله وأصحابه وأمته خير الأمم، وبعد:

فقد انفرد القرآن الكريم بأسلوبه المعجز ونظمه البديع في عرض موضوعاته المختلفة، ويتجلى التأكيد على سمو بيانه وذروة مقاصده في ضوء متابعة الأسرار التي ينطوي عليها، والتي تستحوذ على الاذهان وتأسر النفوس وتعمق الجوانب الإنسانية في الذات ليتحقق المقصد الأسمى في ظل التوجيهات العظيمة والعواقب المنوه عنها ويزداد أولو الألباب عبرة وبصيرة وسحراً، ولعل من أسمى مقاصد النظم القرآني أنه يقوم على الغرض التوحيدي الذي لولاه لما سجل لبقية المقاصد رسم أو معنى، وهو يسلك

سبيل الصواب ويرسخ في النفس دعامة الكيان الروحي، ويؤصل في روعها التوجيهات الدينية الرائدة، وكان ذلك من أبرز الخصائص التي ينفرد بها الأسلوب القرآني والذي يصب في قوالب الإعجاز ويحاط بسياج من التراكيب العجيبة المحكمة والأساليب البلاغية العالية.

ولا يزال القرآن الكريم المعين الذي ينهل منه العلماء والأدباء واللغويون والمفسرون على اختلاف بيئاتهم وثقافاتهم، وتصدوا لأهم الإشكالات الفكرية الكبرى التي عصفت بالأمة العربية، فكان المعين الذي نهلوا منه ليتصدوا لعوادي الدهر، واليوم نحن بأمس الحاجة إليه لما تتعرض له الأمة العربية من التحولات الفكرية الكبيرة والخطيرة، وما أمسنا اليوم من الرجوع إلى هذا المشروع الثقافي الكبير ليكون مائدة لنا.

واهتم العلماء القدامى والمحدثون بالمقاصد القرآنية، فهناك من وجَّه اهتمامه نحو مقاصد الشريعة والتي يُعد القرآن الكريم مصدرها الأول، وقد أشبعوا مقاصد الأحكام دراسة وبحثاً إلى أن تحول إلى علم بارز، وكيانٍ مستقلٍ، أمَّا الاهتمام بمقاصد القرآن الكريم الأخرى فكان أغلبها قائم على أساس حديثي، إذ انصب جهد المفسرين الأقدمين على استنباط مقاصد الفاتحة والإخلاص، ولم تخلو من لمحات مقاصدية دون القصد منهم إلى الوقوف على مقاصد القرآن الكريم على مستوى القرآن بصورة عامة وعلى مستوى السورة بصورة خاصة وعلى مستوى الآية أو مجموعة من الآيات بصورة جزئية، ومن ثَمَّ جاء الفيروز آبادي(ت817هـ) ووقف على مقاصد السور وأطال الوقوف عليها، وذهب علي المهايمي(ت835هـ) مذهبه إذ حاول أن يستنبط مقاصد السور إلَّا أنَّ المتتبع لهما لم يلحظ ذلك الوقوف العلمي أو بالاستناد إلى قواعد علمية، واكتفى المهايمي بعبارة (هذه من أعظم المقاصد)، وبعد مجيء الإمام البقاعي فإن علم المقاصد القرآنية انتقلت نقلة نوعية، إذ حاول أن يقف على قواعد علمية يستنبط على أساسها المقاصد، وفضلاً عن ذلك فهو يعد أوَّل من ذكر علم مقاصد السور وسنن له مجموعة من القواعد التي تمكن المفسر من الوقوف على استنباط المقاصد.

ومن خلال هذه الدراسة سأقف على أربع مطالب: في المطلب الأول سأبيّن العبارات التي استعملها العلماء وألمحوا من خلالها إلى مقاصد السور، وفي المطلب الثاني سأعرض الخصائص والسمات التي تميّز مقصد السورة عن باقي موضوعاتها ومحاورها، وفي المطلب الثالث سأقف على الوسائل التي استعملها المفسِّرون وتوصلوا من خلالها إلى مقصد السورة.

المطلب الأوَّل: مقاربات مقاصد السور القرآنية

من خلال تتبعنا لمقاربات مقاصد السور نجد أنَّ المفسِّرين والدَّارسين اختلفوا في تسميتهم لمقاصد السُّورة أو مقصد السورة، فمنهم من سمّاها **(مقصود السُّورة)**، كالفيروزآبادي(ت817هـ) في كتابه (بصائر ذوي التَّمييز في لطائف الكتاب العزيز)، وهو أوَّل من أفرد لمقاصد السُّور فقرة خاصَّة تناول فيها مقاصد السُّورة، والتزم هذا المنهج في كلِّ سور القرآن الكريم، إذ حشَّد في هذا الجزء كل مقاصد السُّور، من ذلك بيانه لمقصد سورة الشُّورى [580].

ونجد العلاَّمة علي المهايمي(ت835هـ) على الرَّغم من تتبُّعه لمقاصد السُّورة إلّا أنَّه لم يذكر تسمية محدَّدة لها، وإنَّما اكتفى بعبارة ((من أعظم مقاصد القرآن))[581]، بعد ذكر مقصد كلِّ سورة، ومن طرق كشفه لمقاصد السُّور أنَّه يعتمد على استقراء موضوع السُّورة الذي تدور حوله[582].

وصرَّح الإمام البقاعي(ت885هـ) باسم **(مقاصد السُّورة)** و **(مقصود السُّورة)**، وبذل جهداً واضحاً في بيان مقاصد سور القرآن الكريم وأولاه اهتماماً خاصاً وعدَّه علماً من علوم القرآن[583]

([580]) ينظر: الفيروزآبادي، بصائر ذوي التَّمييز في لطائف الكتاب العزيز، 1/ 418

([581]) المهايمي: تبصير الرَّحمن وتيسير المنان، 135

([582]) ينظر: المصدر نفسه، 135، 143، 149، 152، 165

([583]) ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسُّور:1/ 55، ومصاعد النَّظر للإشراف على مقاصد السُّور، 1/ 209

أمّا الفراهي (ت 1349هـ) فسمَّاها **(نظام السُّورة)**، وعاب على المتقدِّمين أنَّهم لم يهتموا بعلم مناسبة السُّورة، وإنَّما اهتموا بمناسبة السُّورة لما قبلها وما بعدها، ففي كتابه (دلائل النظام) خصص فصلا أسماه (عمود السورة إجمالاً) بيَّن فيه أنَّ نظام السُّورة لا يُظهر التَّناسب في السُّورة فقط، بل يجعل السُّورة كلاماً واحداً، ويعطيها وحدتها التي بها صارت سورة كاملة مستقلَّة بنفسها ذات عمود تجري إليها أجزاءها، ويربط الآيات بعضها ببعض حتَّى تأخذ كل آية محلَّها الخاصِّ بها، فمن تدبَّر القرآن الكريم في ضوء النِّظام فلا شك أنَّه لا يخطأ في فهم معانيه؛ وذلك لأنَّ النِّظام يبيِّن سمة الكلام، وينفي عنه تشاكس المعاني، ويردُّ الأُمور إلى الوحدة[584]، وعقد فصلاً آخر أسماه (مطالب السور) أوضح فيه العلاقة القائمة بين محور السورة وموضوعاتها.

وعرج حسن البنّا(ت1368هـ) إلى مقاصد السُّورة، لكنَّه لم يهتم بها اهتماماً بيّناً، إذ ذكرها في سورتين سورة البقرة، والرَّعد، أمّا بقيَّة السُّور التي وقف على تفسيرها لم يذكر مقاصدها[585]، من ذلك ما عرضه لمقاصد سورة الرَّعد[586]:

ويسمِّيها محمد عبد الله درَّاز(ت1377هـ) بـ **(الوحدة الطَّبيعية المعنويَّة)**[587]، ويرى أنَّه لو تأمَّل أحدُنا في سورة من السُّور الطِّوال لرأى أنَّها تقوم على موضوعات ومعاني متعدِّدة، وإنّ تلك المعاني قد حُشيت حشواً، وأوزاعاً من المباني جُمعت عفواً، لكن لو تدبَّرتها لوجدتها بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلِّية على أُسس وأُصول، وأقيم كلُّ موضوع منها على شعب وفصول محكمة، وقد تطول شعبة منها أو تقصر، لكنَّك في تنقُّلك بينها لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التَّقسيم والتَّنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق، بل ترى بين موضوعاتها تمام الألفة والانسجام، كل ذلك جمع بغير تكلُّف ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، وإنَّما هو حسن السِّياقة ولطف التَّمهيد في مطلع كلِّ غرض ومقطعة وأثنائه، يريك المنفصل متَّصلاً، والمختلف مؤتلفاً، وهذه المعاني تنتسق في السُّورة كما تنتسق الحجرات في البنيان[588].

والشيخ محمود شلتوت (ت1382هـ) يسمِّيها **(مقصد السورة)**، ومن آليَّات كشفه لمقاصد السُّور، هو استقراء آيات السُّورة، لكشف محاور مقاصدها، وموضوعها الأساس الذي تدور حوله السُّورة، وتارة يعتمد المقابلة بين السُّورة وغيرها من السُّور، وهذا ما لمسناه في سورة الأنعام، إذ قابلها بسورة الفاتحة، والبقرة وآل عمران والنِّساء والمائدة، فبعد عرض مقاصد السُّورة يرى أنَّها تدور بشدَّة حول العناصر الأولى للدَّعوة التي وردت في السُّور، وتستخدم الأدلَّة المقنعة لأثبات ذلك، وتنوُّع في طرق الإلزام والإقناع، وتنوُّع في أدلَّتها[589]ومن آليَّات الكشف عنده هي اعتماده على مدنيَّة السُّورة أو مكيَّها لكشف مقصدها، وهذا ما نجده في سورة الأعراف[590].

وعلى الرَّغم من عناية سيِّد قطب(ت1385هـ) الواضحة لمقاصد القرآن الكريم وتتبُّعها في كتبه إلّا أننّا نراه مضطرباً في تسمية مقاصد السُّورة، ففي كتابه (التَّصوير الفنِّي في القرآن) فعند تتبُّعه لنظم السُّور القصار ونسَقها يعبِّر عن تناسب الآيات بـ (السِّحر) فيرى أنَّ منبع السِّحر في القرآن الكريم كامن في صميم النَّسق القرآني، فهو غير كامن في التَّشريع والغيبيّات والعلوم الكونيَّة، بل هو مظهر من مظاهر النَّسق القرآني يكمن في نسق القرآن الكريم ذاته بعيداً عن موضوع السُّورة؛ لأنَّ في روحانيَّة العقيدة الإسلامية_ أي آيات التَّشريع والأحكام والعقيدة_ لا تخلو هي الأخرى من ذلك السِّحر النَّسقي، وبساطة هذه العقيدة لا تخلو من جاذبيَّة[591].

---

(584) ينظر: الفراهي، دلائل النِّظام، 4- 5
(585) ينظر: البنا، حسن، مقاصد القرآن الكريم، 78، 273، ونظرات في كتاب الله، 158، 343
(586) ينظر: البنا، حسن، مقاصد القرآن الكريم، 273، ونظرات في كتاب الله، 343
(587) ينظر: محمد عبد الله درّاز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، 2/ 188
(588) ينظر: المصدر نفسه، 155
(589) ينظر، محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم، 282-283
(590) ينظر: المصدر نفسه، 348
(591) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، 19

أمّا في تفسيره (في ظلال القرآن)، فإنَّه لم يتعرَّض لتسمية مقاصد السُّورة، وإنّما يشرع في عرضها بالاعتماد على تقنيَّة التَّصوير الفنّي، وينساب مع إيقاع القرآن الكريم في نسق فنّي هادئ ليعرض مقاصد السُّورة بتقنيَّة تصوير مشاهدها وعرضها، من ذلك عرضه لسورة الغاشية[592].

واكتفى الطَّاهر بن عاشور(1393هـ) بتسمية **(غرض السُّورة)**، والغرض عنده المقصد، وتتبَّع مقاصد السُّورة في تفسيره بعد بيان مدنيّها ومكّيّها وعدد آياتها، من ذلك بيانه لمقاصد سورة الأنعام[593].

وتناول الطَّباطبائي(ت1402هـ) مقاصد السُّور تحت عنوان **(بيان)** وصرّح بمصطلح **(غرض السورة)**، واعتمد على مجموعة من الآليَّات للتوصّل إلى غرض السُّورة:

1- اعتمد على استقراء آيات السُّورة ليستنبط مقصدها.

2- اعتمد على سياق السُّورة، من ذلك ذكره لمقاصد سورة المعارج [594].

3- وكذلك يتناول مكّيّها ومدنيّها، ليستنبط مقصودها.

4- اعتمد على ركيزة مهمة ليستنبط مقصودها، وهو سبب النّزول.

أمّا محمد عزَّة دروزة (ت1404هـ) فإنَّه لم يذكر تسميَّةً لمقصد السُّورة، على الرَّغم من اهتمامه الواضح بمقاصد السورة في كل السور التي فسّرها، ومن آليات كشفه لمقاصد السور عنده اعتماده على تقنيَّة الاستقراء لآيات السورة وموضوعاتها، وملاحظة أسباب النزول لكشف مقصدها، كذلك اعتنى بكشف مقصد الآية من الآيات المنتشرة في السور ذات الموضوع الواحد[595].

وقدَّم سعيد حوَّى (ت1409هـ) في كتابه (الأساس في التفسير) نظرية حول الوحدة الموضوعية لسور القرآن بيّن فيها ((أنَّ كل سورة تأتي بعد سورة البقرة لها محورها من سورة البقرة، وأن كل سورة تأتي بعد سورة البقرة تفصل في محور من سورة البقرة، وفي امتداد من امتداداته، وهكذا يتكرر التفصيل ولكنه في كل مرة يأتي بشكل جديد وبمعان جديدة، وإنه بنهاية سورة براءة ينتهي قسم السبع الطوال وقد رأينا وسنرى كيف أن هذا القسم تترابط معانيه وتتكامل سوره، ورأينا أكثر من صورة من صور الربط بين هذا القسم...ولكن يلاحظ أنه ولو لم تكن المحاور متعاقبة إلا أنك لو جمعتها مع بعضها فإنك تجد ترابطا فيما بينها فلو أنك وضعت الآيات التي تشكل محاور السور السبع التي جاءت بعد سورة البقرة بجانب بعضها فإنك تخرج بموضوع متكامل مترابط))[596]

في حين السَّيد عبد الأعلى السَّبزواري (ت1414هـ) لم يذكر تسمية محدَّدة لمقاصد السُّورة، وإنَّما تناول مقاصدها بعد ذكره للسُّورة، وآليَّات استنباط المقاصد هي نفسها التي اتَّبعها الطَّباطبائي، من ذلك بعد عرضه لمقاصد سورة النِّساء، يرى أنَّها تحتوي على موضوعات متعدِّدة لكن تجمعها رابطة واحدة، وهي تهذيب النَّفس، والتَّخلق بأخلاق الله تعالى، وتثبيت العقيدة، وتطبيقها في العمل، ومعرفة أُمور الدِّين وأحكامه[597]

وأمّا محمَّد الغزالي (ت1416هـ) فهو الآخر لم يستخدم مصطلح محدَّد لمقاصد السُّورة، على الرغم من تناوله لمقاصد السُّور، في كتابه (نحو تفسير موضوعي لسور القرآن)، من ذلك عرضه لمقاصد سورة الواقعة[598]

([592]) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، 6/ 3895

([593]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 1/ 123

([594]) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، 20/ 6

([595]) ينظر: دروزة، محمد عزَّت، التفسير الحديث، 4/ 34

([596]) سعيد حوَّى، الأساس في التفسير، 4/ 1830

([597]) ينظر: السبزواري: مواهب الرحمن في تفسير القرآن، 7/ 226

([598]) ينظر: محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، 425

ومصطلح مقاصد السور فيه الكثير من الاضطراب عند محمد حسين فضل الله(ت1432هـ)، فهو يستنبط مقاصد السُّورة تارة تحت عنوان **(أَجواء السُّورة)**، تارة يسمّيها **(آفاق السُّورة)**، ومرَّة أخرى يسمّيها **(أغراض السُّورة)**، ومرَّة يطلق عليها **(مدخل عامٌّ)**، وحيناً **(مواضيع السُّورة)**، وحيناً يسميها **(دروس السُّورة)**، كماً يسمّيها **(النُّور)**، وآليَّات كشفه لمقاصد القرآن الكريم:

1- اعتمد على استقراء موضوعات السُّورة لبيان مقاصدها.

2- ركَّز على نقطة مهمَّة في استقرائه لمقاصد السُّورة، وهي ناحية مكّيتها أومدنيَّتها.

أمّا محمد تقي المدرَّسي فإنَّه يسمّيها **(الإطار العام)**، وآليَّات كشفه لمقاصد السُّور، هي تقسيم السورة إلى مجموعة من النصوص ليستخرج مقاصدها.

ويسمّيها ناصر مكارم الشّيرازي **(محتوى السُّورة)**، ومن آليَّات كشفه لمقاصد القرآن الكريم، فإنَّه اعتمد على آليَّات محمد حسين فضل الله والطَّباطبائي، فكان يستقرأ موضوعات السُّورة ليستنبط مقاصدها، وكذلك اعتمد على مكّيَّة السُّورة أو مدنيَّتها.

أمَّا طه جابر العلواني(ت1437هـ) فيسمّيها **(الوحدة البنائيَّة)**، ويرى أنَّ كلّ سورة في القرآن الكريم لها عمود تدور حوله، وذلك العمود هو الموضوع الأساس، وهناك موضوعات أخرى هي ساندة ومعضدة تدور حول ذلك الموضوع الأساس أو العمود، وكأنَّها أوتاد مُعضدة ومعزِّزة للعمود الأساس، وهذه النَّظرية طبقها على سورتي الفاتحة والبقرة، وهو يرى أنَّ سورة الفاتحة تقوم على محور أو عمود أساس وهو (توحيد الرّبوبيَّة)، وهو ظاهر في الآيات الثَّلاثة الأولى، لتأتي الآيتان الرَّابعة والخامسة في (توحيد الألوهيَّة)، ثم التلقين بالدُّعاء بالهداية، وسلوك سبيل الموحِّدين، الذين تزكَّت أنفسهم بالتَّوحيد، وصاروا مؤهلّين للاستخلاف، وليس أولئك الذين غضب الله عليهم لكفرهم وشركهم[599] ومحمود البستاني يسمّيها **(عمارة السُّورة القرآنيَّة)** فهو يتناول السُّورة القرآنيَّة من حيث عمارتها وفق أسلوبين:

أحدُّهما: الوقوف عند السِّمات الفكريَّة أو الموضوعيَّة التي تربط الآيات بعضها مع الآخر.

الثاني: الوقوف عند السِّمات (الفنيَّة) أيضاً، أي ملاحظة مجموع السُّورة من حيث بدايتها ووسطها ونهايتها من جانب، ثم علاقة كلّ سورة بما سبقها ولحقها من جانب ثانٍ، ثم ملاحظة العناصر القصصيَّة واللَّفظيَّة والصُّوريَّة والإيقاعيَّة وغيرها من العناصر التي تنظم النُّصوص الأدبيَّة وتميّزها عن النَّص العلمي الصَّرف، ملاحظة هده العناصر ومدى إسهامها في عملية الرَّبط بين أجزاء السُّورة، ثمَّ كيفيَّة توظيفها من أجل إنارة الفكرة التي يتضمنَّها النَّص[600]، وبذلك تناول في تفسيره ملامح الوحدة العامَّة التي تحكم عمارة السُّورة القرآنيَّة، حيث يَنظر إليها من زوايا تخدم فكرة (عمارة السُّورة القرآنيَّة)[601]

في حين يسمّيها محمد تقي المدرّسي **(الإطار العام للسُّورة)**، ويعتمد في استنباط مقاصد السُّورة على تقسيم السُّورة إلى (مقاطع) وعرض مقاصد تلك المقاطع، ويُعَنْوِنُ كل سورة بعنوان يجمع مقاصدها، من ذلك تناوله لمقاصد سورة الفجر، يُعَنْوِنُها بـ (الرُّجوع إلى الربّ)، ومحور السُّورة البصيرة، وتتلَّخص في نقاط هي بدورها محاور تمهيديَّة للسُّورة[602]

المطلب الثاني: خصائص مقصد السورة

1- مقصد السورة (عمود الكلام)[603] ولا يتعلّق بوقت ولا زمان محدَّد[604]، فذكر القصص والأحكام الخاصَّة، ليست الغرض الأساس للسُّورة، أو عمودها الذي يقوم عليها بناء السُّورة، فالقصص ذُكرت في أكثر من موضع في القرآن الكريم، وجاءت لمقصد خاص في القرآن الكريم، وإنَّما وردت في السُّور لتعضد موضوعها الأساس، بل هي ساندة تدور حول ذلك العمود،

([599]) ينظر: العلواني، طه جابر، الوحدة البنائية للقرآن المجيد، 54

([600]) ينظر: محمود البستاني، التفسير البنائي للقرآن الكريم، 1/ 8

(601) ينظر: الفراهي، دلائل النظام، 62

([602]) ينظر: المدرسي، محمد تقي، من هدى القرآن، 12/ 179-180

([603]) ينظر: الفراهي، دلائل النظام، 62

([604]) ينظر: المصدر نفسه، 62

وكأنّها وتدٌ معضد ومعزِّز للموضوع الأساس، فسورة الكهف مثلاً وردت فيها أربع قصص(قصّة أصحاب الكهف، وقصّة صاحب الجنتين، وقصّة موسى والخضر، وقصّة ذي القرنين)، لكن كلّ هذه القصص تخدم الموضوع الأساس وهو التوحيد. ويعلِّق الطباطبائي(ت1402هـ) على الغرض من ذكر القصص الثلاثة في هذه السورة، وهي: (قصّة أصحاب الكهف، وقصّة موسى والخضر، وقصّة ذي القرنين) يستفاد منها ما استفرغ في السورة من الكلام في نفي الشرك والحثّ على تقوى الله[605]، أمّا محمد الغزالي(ت1416هـ) فيرى أنّ هذه القصص الواردة في سورة الكهف هي داعمة لعقيدة التوحيد، التي افتتحت بها السورة وختمت بها أيضاً[606]، وأمّا ناصر مكارم الشيرازي فيراها أنّها تخدم الغرض الأساس وهو الإعلان عن حمد الخالق، وتوحيده، والإيمان به، فهي تخدم الغرض الأساس[607].

ويرى السيد قطب(ت1385هـ) أنّ ((المحور الموضوعي للسورة الذي ترتبط به موضوعاتها، ويدور حوله سياقها، فهو تصحيح العقيدة وتصحيح منهج النظر والفكر، وتصحيح القيم بميزان هذه العقيدة))[608]

وأمّا الأحكام الخاصة التي ترِدُ في السور فهي لا تشكِّل المحور الأساس الذي تدور حوله السورة، بل تعضد وتساند محورها الأساس، أو تأتي ساندة لموضوعات السورة الكبرى، كما نرى في سورة النور، بدأت بالأحكام ولكن العظات والوصايا العالية ضُمِّت بها، فلا بدَّ للمفسِّر أن ينظر في القرآن الكريم من جهة الحكم ويربط الأحكام بأصولها[609].

3- مقصد السُّورة جامع لكل مقاصد السُّورة ولا يغادرها[610]، حيث يكون كل نظام السورة كلاماً واحداً، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة، أو بالتي قبلها أو بعدها أو على بعضها[611] ((فإليه مجرى الكلام وهو المحصول والمقصود منه، فليس من أجزائه التركيبيَّة ولكنَّه يسري فيه كالروح وربما يحسُن إخفاؤه فلا يُطَّلع عليه إلا بعد استيفاء الكلام والتَّدبُّر فيه))[612]. فهو هنا يذكر ثلاث مميّزات للمقصد من السورة:

أوَّلاً: إليه يتوجَّه الكلام وهو العمدة فيه، فكل آيات السورة وموضوعاتها متوجهةٌ إليه.

ثانياً: وهو زبدة الكلام والمراد من مجموعه.

ثالثاً: إنَّه معنى يكمن وراء المعنى الظاهر، ولا يمكن الوصول إليه إلا بعد التدبُّر والنَّظر في كلِّ آيات السورة وموضوعاتها.

وعلى هذا يجب على المفسِّر أنَّ يستقري جميع آيات السورة، ويتدبرها، لكي يستنبط مقاصدها، ولا يقف على المحور الأساس، ويترك معضداتها، لكثرة آيات محورها بل يتوجب عليه أن يستقري جميع آيات السورة بنفس مستوى التدبّر، لكن يتوجب عليه أن يولي أهمّيته ويكشف عن معاضده، والأحكام الخاصّة المرتبطة بموضوعات السورة الرئيسة أو بمحورها، ليستنبط مقصودها بشكل علمي، هذا ما أكَّد عليه محمد الغزالي (ت1416هـ) بقوله: ((نخشى أن تكون علل الأمم السَّابقة قد انتقلت إلينا.. على الأقل من النَّاحية النَّظرية، وأخذ بعض مقاصد الآية أو السورة وترك ما وراءها للتَّبرك والتِّلاوة ! نخشى أن نكون قد وقعنا في هذا فعلاً.. نحن نعيش الآن مرحلة التبعيض والتفاريق))[613]

المطلب الثالث: طرق الكشف عن مقاصد السورة

([605]) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، 13/ 236

([606]) ينظر: محمد الغزالي: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن، 231، 238

([607]) ينظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، 7/ 399

([608]) سيد قطب: في ظلال القرآن، 4/ 2257

([609]) ينظر: الفراهي، دلائل النظام، 62

([610]) ينظر: الفراهي، دلائل النظام، 73

([611]) ينظر: المصدر نفسه، 75

([612]) الفراهي، دلائل النظام، 73

([613]) محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن الكريم، 1/ 73

هناك مجموعة من الآليَّات التي استعملها علماء التفسير لاستنباط مقاصد السُّور بقصد منه، فمقصد السوُّرة هو الغرض الأصلي الذي يجمع بين مقاصدها الأخرى التي تندرج تحته وتعضده، ومعرفته تحتاج إلى تخصِّص وبذل جهد في التَّدبُّر وإمعان النَّظر من خلال اتِّباع مجموعة من الآليَّات والجمع بينها للوصول إليه، فنرى أنّ كثيراً من العلماء يُؤكِّدون على التدبر والتأمل الدقيق؛ لأنَّ المقصد لا يكون دائماً واضحاً، فهو كما قلنا معنى يقع وراء المعنى الظاهر، فبالتدبُّر والتأمل في الظاهر واستخدام مجموعة من الآليَّات التي تعصم المتدبِّر من الوقوع في الخطأ والانجرار وراء آراء بعيدة عن مراد الله تعالى عند البحث عنه، ويصف الفراهي المقصد بأنَّه ((جماع مطالب الخطاب فإليه مجرى الكلام، وهو المحصول والمقصود منه فليس من أجزائه التركيبية ولكنه يسري فيه كالروح والسِّر وربما يحسُن إخفاؤه فلا يُطّلع عليه إلا بعد استيفاء الكلام والتدبر فيه))[614]، فيرى أنّ المقصد هو الروح التي تسري في الأجزاء التركيبية، والتعرُّف عليه يحتاج إلى تدبُّرٍ واستقراء لكل آيات السورة الواحدة وموضوعاتها وايجاد أوجه المناسبة بينها للوصول إلى المقصد العام من السُّورة، ولمعرفة المقاصد العامَّة من القرآن الكريم فإنَّه يحتاج إلى استقراء كافة آيات القرآن الكريم وموضوعاتها وايجاد أوجه المناسبة بينها.

فبعض المفسِّرين القدامى نراهم قد استخدموا وسائل في الكشف عن المقاصد وتوصَّلوا بها إلى المقصد من السورة من غير تصريح به، أو من غير قصدٍ للبحث عنه وإيجاده، وبعضهم استخدم هذه الآليات وبذل جهد طيِّب بغية الوصول إليه بقصد منهم وتصريح، ومن هذه الوسائل:

1- علم المناسبة:

وهو إحدى الآليَّات المهمَّة التي في ضوئها يستطيع المفسِّر أن يكشف مقاصد السُّور والآيات، فهو علم تُعرف منه علل ترتيب السُّور، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السُّورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها[615]،وعلم المناسبة يكون على أوجه مختلفة منها:

أوَّلاً: التناسب في السُّورة الواحدة، وهذا أيضاً له أوجه مختلفة منها:

أ- ما يكون بين مفتتح السُّورة وموضوعها:

فمطالع السُّور لها أثرٌ في كشف مقاصد القرآن الكريم، وفي هذا يرى الرازي(ت606هـ) أنَّ سورة النِّساء افتتحت بما يتلائم مع طبيعة محورها الرَّئيس، حيث يقول: ((اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى أَنْوَاعٍ كَثِيرَةٍ مِنَ التَّكَالِيفِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ النَّاسَ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ بِالتَّعَطُّفِ عَلَى الْأَوْلَادِ وَالنِّسَاءِ وَالْأَيْتَامِ، وَالرَّأْفَةِ بِهِمْ وَإِيصَالِ حُقُوقِهِمْ إِلَيْهِمْ وَحِفْظِ أَمْوَالِهِمْ عَلَيْهِمْ، وَبِهَذَا الْمَعْنَى خُتِمَتِ السُّورَةُ... وَذَكَرَ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ السُّورَةِ أَنْوَاعًا أُخَرَ مِنَ التَّكَالِيفِ، وَهِيَ الْأَمْرُ بِالطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ وَقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ التَّكَالِيفُ شَاقَّةً عَلَى النُّفُوسِ لِثِقَلِهَا عَلَى الطِّبَاعِ، لَا جَرَمَ افْتَتَحَ السُّورَةَ بِالْعِلَّةِ الَّتِي لِأَجْلِهَا يَجِبُ حَمْلُ هَذِهِ التَّكَالِيفِ الشَّاقَّةِ))[616].

وقد عَدَّ البيانيّون أنَّ أحسن ابتداءات السُّور ما تلائم مع مقصود السُّورة وأطلقوا عليه (براعة الاستهلال)، يقول الجاحظ: ((لا خير في كلام لا يدل أوّله على معناك ولا يشير إلى مغزاك، والغرض الذى إليه نزعت، وإلى العمود الذي قصدت))[617] وذهب الخطيب القزويني(ت739هـ) إلى أنَّ ((جميع فواتح السُّور وخواتمها واردة على أحسن وجوه البلاغة وأكملها يظهر ذلك بالتأمُّل فيها مع التدبُّر لما تقدَّم من الأصول))[618].

([614]) الفراهي، دلائل النظام،73

([615]) ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 1/ 6

([616]) الرازي، التفسير الكبير، 9/ 163

([617]) الجاحظ، البيان والتبيين، 1/ 76

([618]) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 600

ونقل البقاعي عن شيخه البجائي(ت846هـ) منهجه في الربط بين مقدمات السورة ومقصودها الذي سيقت من أجله للتعرف على منهج الربط القائم في القرآن الكريم، بقوله: ((الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له... فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن))[619] فهو يشير إلى وحدة القرآن الكريم الكلية، ويحدّد طريقة الكشف عنها بأمرين:

– التَّعرُّف على الوحدة الكلية للقرآن الكريم من خلال النَّظر في مقصد كل سور.

– التَّعرُّف على مقصد السورة من خلال النَّظر في مقدَّمات تلك السورة وما يستتبع هذه المقدَّمات من أُمور معضدة للمقصد الأساسي.

وخصص السِّيوطي(ت911هـ) لها الوجه الرابع من وجوه الإعجاز للدلالة على أنَّ مفتتح السُّورة دالّ على مقصودها، ومن الأمثلة على ذلك ما ذهب إليه من أنَّ سورة النِّساء افتتحت بقوله تعالى: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفس وٰحِدَة وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلأَرحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبا ١ ﴾** (النساء/1)، وجاء متناسباً مع موضوعها لما تضمَّنت من أحكام الأنساب بين النَّاس، وهي نوعان: مخلوقة لله، ومقدَّرة لهم، كالنَّسب والصِّهر، لما تضمّنت من أحكام النِّساء والميراث بالتَّفصيل، فانظر هذه المناسبة العجيبة في الافتتاح وبراعة الاستهلال حيث تضمّنت الآية المفتتح بها ما أكثر السُّورة في أحكامه من نكاح النِّساء ومحرماته والمواريث المتعلّقة بالأرحام وأنّ ابتداء هذا الأمر كان بخلق آدم ثم خلق زوجه منه ثم بثَّ منهما رجالاً ونساءً في غاية الكثرة[620].

ويوجد سعيد حوَّى(ت1409هـ) العلاقة بين مفتتح سورة يونس ومقصودها، حيث يقول: ((تبدأ السورة بآية تدلُّ على مضمون السُّورة، وهي: **﴿الٓر تِلكَ ءَايَٰتُ ٱلكِتَٰبِ ٱلحَكِيمِ ١ ﴾**(يونس/1)، فالآية الأولى في السُّورة تذكر حكمة الكتاب، وذلك يؤكد أنَّه لا ريب فيه، وأنّه هدى يجب أن يهتدي به الناس، فهذه الآية التي هي مقدِّمة السورة تشير إلى مضمونها، كما أنَّها في محلِّها تحقق ما يسمَّى في علم البلاغة براعة الاستهلال))[621].

وقد تتبَّع محمود البستاني المناسبة بين مفتتح سورة الحشر ومضمونها– أي مقصدها – قال تعالى: **﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوٰتِ وَمَا فِي ٱلأَرضِ وَهُوَ ٱلعَزِيزُ ٱلحَكِيمُ ١﴾** (الحشر/1)، المقطع القرآني الذي استهلَّت به السُّورة يبدأ بظاهرة التَّسبيح لله من قبل السَّماوات والأرض، وهذا التَّسبيح ينطوي على دلالة فكرية تلقي بأشعَّتها على مضمون السُّورة، وهذا المضمون هو: النَّصر العسكري الذي حقَّقه الله للأسلاميّين في معركتهم مع اليهود[622].

ب– المناسبة بين خاتمة السورة ومقصودها:

ونجد أنَّ بعض المفسّرين قد اعتمد على هذه الطريقة في الكشف عن المقصد من السورة، فتنبَّه ابن تيميَّة إلى أنَّ خاتمة سورة البقرة يجتمع فيها محصل السورة فرأى أنَّها لمَّا كانت ((سنام القرآن، وأكثر سوره أحكاماً وأجمعها لقواعد الدين...فختمها اللَّهُ تَعَالَى بآيات جوامع مقررة لجميع مضمون السورة))[623]

كما ذهب الطباطبائي إلى أنَّ خاتمة سورة الفرقان وهي الآية (77) من قوله تعالى: **﴿قُل مَا يَعبَؤُاْ بِكُم رَبِّي لَولَا دُعَآؤُكُم فَقَد كَذَّبتُم فَسَوفَ يَكُونُ لِزَامَا ٧٧ ﴾** (الفرقان/ 77)، نتيجة لما دارَ في السورة من أُمور تناولتها هذه السورة الكريمة، بقوله: ((و الآية

(619) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسُّور، 1/ 18
(620) ينظر، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 2/ 298
(621) سعيد حوَّى، الأساس في التفسير، 5/ 2416
(622) ينظر: التفسير البنائي للقرآن الكريم، 4/ 511
(623) ابن تيميَّة، مجموع الفتاوى، 14/129-130

خاتمة السورة و تنعطف إلى غرض السورة و محصل القول فيه و هو الكلام على اعتراض المشركين على الرسول و على القرآن النازل عليه و تكذيبهما))[624]

ج- المناسبة بين مفتتح السورة وخاتمتها:

وقد تتبَّع الرازي الكثير من أوجه المناسبة كوقوفه على مفتتح سورة المائدة وخاتمتها، حيث يقول: ((أَنَّ مُفْتَتَحَ السُّورَةِ كَانَ بِذِكْرِ الْعَهْدِ الْمُنْعَقِدِ بَيْنَ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ فَقَالَ: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوفُواْ بِٱلعُقُودِ** ﴾ (المائدة/1) وَكَمَالُ حَالِ الْمُؤْمِنِ فِي أَنْ يَشْرَعَ فِي الْعُبُودِيَّةِ وَيَنْتَهِيَ إِلَى الْفَنَاءِ الْمَحْضِ عَنْ نَفْسِهِ بِالْكُلِّيَّةِ. فَالْأَوَّلُ هُوَ الشَّرِيعَةُ وَهُوَ الْبِدَايَةُ وَالْآخِرُ هُوَ الْحَقِيقَةُ وَهُوَ النِّهَايَةُ. فَمُفْتَتَحُ السُّورَةِ مِنَ الشَّرِيعَةِ وَمُخْتَتَمُهَا بِذِكْرِ كِبْرِيَاءِ اللَّه وَجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَعُلُوِّهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْوُصُولُ إِلَى مَقَامِ الْحَقِيقَةِ فَمَا أَحْسَنَ الْمُنَاسَبَةَ بَيْنَ ذَلِكَ الْمُفْتَتَحِ، وَهَذَا الْمُخْتَتَمِ))[625].

وهذا ما ذهب إليه أيضاً ابن الزبير الغرناطي في بيانه لسورة الممتحنة((بنى السورة على طلب الوفاء افتتاحا واختتاما))[626]

وعلى ذلك يؤكِّد أبو حيّان الأندلسي(ت745هـ) على ضرورة الرَّبط بين أجزاء السُّور: ((وَقَدْ تَتَبَّعْتُ أَوَائِلَ السُّوَرِ الْمُطَوَّلَةِ فَوَجَدْتُهَا يُنَاسِبُهَا أَوَاخِرُهَا، بِحَيْثُ لَا يَكَادُ يَنْخَرِمُ مِنْهَا شَيْءٌ، وَسَأُبَيِّنُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي آخِرِ كُلِّ سُورَةٍ سُورَةٍ، وَذَلِكَ مِنْ أَبْدَعِ الْفَصَاحَةِ، حَيْثُ يَتَلَاقَى آخِرُ الْكَلَامِ الْمُفْرِطُ فِي الطُّولِ بِأَوَّلِهِ، وَهِيَ عَادَةٌ لِلْعَرَبِ فِي كَثِيرٍ مِنْ نُظُمِهِمْ، يَكُونُ أَحَدُهُمْ آخِذًا فِي شَيْءٍ، ثُمَّ يَسْتَطْرِدُ مِنْهُ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ، ثُمَّ إِلَى آخَرَ، هَكَذَا طَوِيلًا، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى مَا كَانَ آخِذًا فِيهِ أَوَّلًا))[627]

وقد نبَّه البقاعي(ت885هـ) إلى ضرورة النَّظر من أوَّل السورة إلى خاتمتها من أجل الوصول إلى مقصودها، وهذا من أبدع المناسبات التي أهتم بها المفسِّرون، حيث يقول: ((فإذا وصل الأمر إلى غايته، ختم بما منه كان ابتدأ، ثم انعطف الكلام إليه وعاد النَّظر إليه، على نهج آخر بديع، ومرقى غير الأوَّل منيع، فتكون السورة كالشجرة العالية، وشعبة ملتحمة بما بعدها، وآخر السورة قد واصل أوَّلها كما لاحم انتهاؤها ما بعدها، وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت السورة دائرة كبرى))[628]

أمَّا الشاطبي فقد تنبَّه إلى وحدة المقصد من السُّورة فذهب إلى أنَّ ((سورة المؤمنين نازلة في قضية واحدة وإن اشتملت على معان كثيرة فإنَّها من المكيات وغالب المكي أنَّه مقرر لثلاثة معان أصلها معنى واحد وهو الدُّعاء إلى عبادة الله تعالى))[629] وللوصول إلى هذا المقصد الأصلي لابد من النَّظرة الكليَّة للسُّورة لأنَّ النَّظرة الناقصة لا تفي بالغرض فلابدَّ ((من النَّظر في أول الكلام وآخره بحسب تلك الاعتبارات فاعتبار جهة النُّظم مثلا في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنَّظر فالاقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود كما أنَّ الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلاَّ بعد كمال النَّظر في جميعها))[630]

ومن المحدثين الذين أشاروا إلى أهمِّية الربط بين المفتتح وخاتمة السورة، ابن عجيبة الحسني(ت1224هـ) فقد أشار إلى الربط بين ديباجة السورة وخاتمتها، ((بدأت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين، وختمت بنفي فلاح الكافرين تحريضاً على الإيمان، وعلى ما يوجب بقاءه وتنميته، من التمسك بما جاء به التنزيل، وبما جاء به النبي الجليل، ليقع الفوز بالفلاح الجميل))[631]

([624]) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، 15/ 126
([625]) الرازي، التفسير الكبير12/ 147
([626]) ابن الزبير الثقفي، البرهان في تناسب سور القرآن، 1/ 334
([627]) ابو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 2/ 755
([628]) البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، 149
([629]) الشاطبي، الموافقات في أُصول الشريعة، 3/ 416
([630]) المصدر نفسه، 3/ 415
([631]) ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، 3/ 604

و نبَّه الفراهي (ت1349هـ)– كما قلنا سابقاً – إلى أهمِّية النَّظر في أوَّل الكلام إلى آخره في السورة الواحدة لما له الأثر في كشف مقصد السورة، فضلاً عن ذلك أنَّه يحقِّق الانسجام والترابط بين أجزاء السورة، وهذا ما يجعلها تدور حول مقصد رئيس، وبقية المقاصد هي تعضد المقصد الرئيس، حيث يقول: ((إنَّ الكلام يجري من أمر إلى أمر وكلُّه جدير بأن يكون مقصداً، فيشفي الصدور ويجلو القلوب، ثم يعود إلى البدء، فيصير كالحلقة))[632]، وكذلك محمد عبد الله دراز(ت1377هـ) بقوله: ((وأخيراً تأتي الخاتمة تقابل الديباجة))[633].

وتابع الطباطبائي(ت1402هـ) في تفسيره مناسبة افتتاح السورة لخاتمتها، فيرى مثلاً أنَّ سورة الرَّحمن افتتحت بذكره تعالى بصفة رحمته العامَّة والشاملة للمؤمن والكافر والدنيا والآخرة، واختتمت بالثناء عليه[634].

وقد أشار محمود البستاني إلى أهمَّية الربط بين مفتتح السورة وخاتمتها: ((وأمَّا من حيث الصِّلة العمارية بين السُّورة ونهايتها، فتتمثل في الربط العضوي بين المقدمة التي أشارت إلى (فضل الله تعالى)﴿ **ذَٰلِكَ فَضلُ ٱللَّهِ يُؤتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلفَضلِ ٱلعَظِيمِ ٤**﴾ (الجمعة/4) وبين النِّهاية التي أشارت إلى (فضل الله تعالى) أيضاً﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلأَرۡضِ وَٱبتَغُواْ مِن فَضلِ ٱللَّهِ وَٱذكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرا لَّعَلَّكُم تُفلِحُونَ ١٠**﴾ (الجمعة/10)، وبهذا الربط بين مقدمة السُّورة ونهايتها، نتبيَّن مدى الإحكام الهندسي للسورة الكريمة))[635].

واهتمَّ المدرِّسي بعلم المناسبة بين المفتتح والخاتمة في بيان المقصد، فذهب إلى أنَّ سورة الشُّورى افتُتحت بالتَّذكير بالوحي الذي يلقيه الله العزيز الحكيم مليك السماوات والأرض العليُّ العظيم، وكفى بالوحي عظمة أنَّ السماوات والأرض يكدن يتفطَّرن من فوقهم من عظمة ربهنَّ أو من كلماته،، وهذه الفاتحة تنسجم مع خاتمة السورة التي تبيِّن صفات الوحي، حيث لا يتلَّقاه البشر إلّا إلهاماً أو من وراء حجاب أو عبر رسول من عند الله، وأنّه قد هبط إلى الرسول الروح، وبين هذه الفاتحة وتلك الخاتمة اللتين تتحدثان عن محور المجتمع الإسلامي وصبغته الأساسيَّة وهو الوحي، تجري آيات الذكر في تبيين أسس الوحدة في الأمَّة، بل وترسي هذه الأسس ببصائرها ونذرها وبشائرها[636].

فربط خواتم السور مع مطالعها، من آليات الكشف عن المقاصد القرآنية وينبغي على المتدبِّر أن يُحقِّق النَّظرة الكلِّيَّة للسُّورة من أوَّلها حتّى خاتمتها، ومن خلال هذه النَّظرة يستطيع الظَّفر بمقصود السُّورة وهذا ماأكَّده العلماء كما رأينا؛ ليتمكَّنوا من تحقيق المقصود.

د–التناسب بين الحروف المقطَّعة في أوائل السور ومضمونها

وقد تنبَّه إلى ذلك ابن الزبير الغرناطي(ت708هـ) والذي أوضح أنَّ العلماء في تأويل الحروف المقطعة التي في أوائل السُّور فريقان:

الفريق الأوَّل: ذهب إلى أنَّ هذه الحروف تُعدُّ من المتشابه الذي لا يجوز تأويله؛ فلا يعلمه إلا الله.

والفريق الثاني: ذهب إلى جواز تأويل الحروف المقطعة وهي ليست من المتشابه الذي لا يجوز تأويله[637]

والرأي الثاني هو ما اختاره ابن الزبير والطباطبائي[638]، فقال ابن الزبير: ((وهذا الذي نعتقد أنه الحق لأنَّ العرب تُحديت بالقرآن وطُلبت بمعارضته أو التسليم والانقياد... وقد انتشرت تأويلات المفسرين وتكاثرت والملائم بما نحن بسبيله ما أذكره مما لم

---

(632) الفراهي: دلائل النظام، 54
(633) محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، 119
(634) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، 19/ 94
(635) محمود البستاني، التفسير البنائي للقرآن الكريم، 5/ 17-18
(636) ينظر: المدرسي، محمد تقي، من هدى القرآن، 8/ 340
(637) ينظر: ابن الزبير الثقفي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، 1/ 22
(638) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، 18/ 6 الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، 18/ 6

أر من تعرَّض له وهو اختصاص كل سورة من المفتتحة بهذه الحروف بما افتتحت به منها فهذا ما يسأل عنه ولم أر من تعرض وهو راجح إلى ما قصدته))[639]

وأشار الطباطبائي إلى ذلك أيضاً بقوله: ((و يمكن أن يحدس من ذلك أن بين هذه الحروف المقطعة و بين مضامين السور المفتتحة بها ارتباطا خاصاً، و يؤيد ذلك ما نجد أن سورة الأعراف المصدرة بالمص في مضمونها كأنها جامعة بين مضامين الميمات و ص، و كذا سورة الرعد المصدرة بالمر في مضمونها كأنها جامعة بين مضامين الميمات و الراءات))[640]

ثانياً: التناسب بين السور

وهو من آليات الكشف عن الوحدة السياقية للسورة، فقد التجأ بعض المفسِّرين إلى المناسبات التي تربط سور القرآن الكريم في مجرى واحد واكتشفوا مقاصدها الرئيسة، ومن أوجه هذا التناسب:

أ- التناسب بين مطلع السورة وخاتمة السورة التي قبلها:

وأورد الطبرسي(ت548هـ) أوجه التناسب بين السُور، أي تناسب مطلع السُورة مع خاتمة السُورة السَّابقة لها، وتناسب خاتمة السورة مع مطلع السورة التي بعدها كسورتي اللَّيل والضُّحى، من ذلك ما ذهب إليه إلى أنَّ الله سبحانه وتعالى ختم سورة اللَّيل بأنّ التَّقي هو من يعطيه الله من الثواب الجزيل بما يرضى، وافتتح سورة الضُّحى بأن يرضي نبيه بما يؤتيه يوم القيامة من الكرامة والزلفى، ومقصد السورتين يقوم على الجزاء والعطاء الإلهي[641].

وهذا ما أشار إليه المراغي في تفسيره لسورة الفجر بقوله: ((أن القسم الذي في أوَّل السورة كالدليل على صحة ما تضمنته خاتمة السورة السابقة من الوعد والوعيد.))[642]

وتتبَّع الزحيلي ذلك وجعلها من منهجية تفسيره، فمثلاً ذكر أوجه التناسب بين سورة الزخرف وما قبلها من الحواميم، بقوله: ((تشابه مطلع هذه السورة مع مطلع وخاتمة السورة المتقدمة في وصف القرآن الكريم، وبيان مصدره: وهو الوحي الإلهي.))[643]

ب- التناسب بين السور المفتتحة بالحروف المقطعة:

وهذه الآليَّة استخدمها الطباطبائي في الكشف عن المقصد من السورة من خلال النظرة الكلية في السور المفتتحة بنفس الحروف المقطَّعة، فنرى الطباطبائي يوجِّه الباحث عن مقصود السورة إلى هذه الطريقة ويقول له: ((إنك إن تدبرت بعض التدبر في هذه السور التي تشترك في الحروف المفتتح بها مثل الميمات و الراءات و الطواسين و الحواميم، وجدت في السور المشتركة في الحروف من تشابه المضامين و تناسب السياقات ما ليس بينها و بين غيرها من السور. و يؤكد ذلك ما في مفتتح أغلبها من تقارب الألفاظ كما في مفتتح الحواميم من قوله: "تنزيل الكتاب من الله" أو ما هو في معناه، و ما في مفتتح الراءات من قوله: "تلك آيات الكتاب" أو ما هو في معناه، و نظير ذلك واقع في مفتتح الطواسين، و ما في مفتتح الميمات من نفي الريب عن الكتاب أو ما هو في معناه..))[644]

وكذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ١﴾ (مريم/ 1)، نجده ينبِّه على أَنَّ ((السور القرآنية المصدرة بالحروف المقطعة لا تخلو من ارتباط بين مضامينها و بين تلك الحروف فالحروف المشتركة تكشف عن مضامين مشتركة، و يؤيد ذلك ما نجده من المناسبة و المجانسة بين هذه السورة و سورة ص في سرد قصص الأنبياء))[645]

([639]) ابن الزبير الثقفي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، 1/ 22
([640]) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، 18/ 3
([641]) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، 10/ 379
([642]) المراغي، تفسير المراغي، 30/ 140
([643]) الزحيلي، وهبة مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 25/ 112
([644]) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، 18/ 3
([645]) المصدر نفسه، 14/ 2

ج-التناسب بين مضامين السور المتفرقة:

وقد التفت ابن الزبير الغرناطي إلى هذا التناسب، واستطاع أن يكتشف المقصد من السورة بالاعتماد عليه، ففي كتابه (البرهان في ترتيب السور)، تتبَّع السور المتحدة في المضمون من خلال مقابلة مطالعها ومواضيعها وخواتيمها.

2- اسم السُّورة يكشف عن مقصودها عند من يرى أنَّ اسماء السور توقيفية

وأوَّل من أشار إلى ذلك البقاعي(ت885هـ)، فمن عرف المراد من اسم السُّورة عرف مقصودها[646]، وأنَّ اسم كلِّ سورة مترجمٌ عن مقصودها الذي يجمع آياتها ومواضيعها التي تندرج تحته[647]

فلابدَّ أن تكون أسماء السُّور قوالب للمعاني التي انقد من اجلها موضوعات السور، لهذا اقتضت الحكمة أن يكون هناك ارتباط بينها وتناسب، وأن لا يكون مضمون السورة مع اسمها بمثابة الأجنبي المحض الذي لا تعلُّق له بها[648].

ويرى البقاعي(ت885هـ) أنَّ اسم سورة البقرة دالٌّ على مقصودها، فـ((مقصودها إقامة الدَّليل على أنَّ الكتاب هدى ليتبع في كل ما قال، وأعظم ما يهدى إليه الإيمان بالغيب، ومجمعه الإيمان بالآخرة، فمداره الإيمان بالبعث الذي أعربت عنه قصَّة البقرة التي مدارها الإيمان بالغيب، فلذلك سمِّيت بها السورة))[649]، وقد تتبّع ذلك سيد قطب(ت1385هـ) الذي رأى أنّ سورة المؤمنون دالٌّ على مقصودها ومحورها الأصيل[650]، وهناك بعض السور لا تدلُّ على مقصودها بشكل كلِّي، وإنَّما جرت تسميتها جرياً على عادة العرب على ما يرى أبو جعفر الغرناطي (ت708هـ): ((العرب تُراعى في الكثير من المسمَّيات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في المسمّى من خلق أو صفة تخصُّه أو تكون فيه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمَّى، ويسمّون الجملة من الكلام والقصيدة الطويلة من الشعر بما هو أشهر فيها أو بمطلعها إلى أشباه هذا وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لغريب قصَّة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة في أمرها وتسمية سورة الأعراف بالأعراف لما لم يرد ذكر الأعراف في غيرها وتسمية سورة النِّساء بهذا الاسم لما تردَّد فيها وكَثُرَ من أحكام النساء، وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها))[651].

وإذا كانت السورة لها أكثر من اسم فرُبَّ قائل يقول هذا لا يتناسب مع ما ذهبنا إليه من أنَّ اسم السورة يُعبِّر عن مقصودها الأصلي، فذكر محمد ربيعة نقطتين للوقوف على هذا الإشكال:

أ- إذا كانت أسماء السُّور توقيفيَّة، فهذا يدلُّ على أنَّ للسُّورة عِدَّة مقاصد تندرج تحت مقصد السورة الأصلي، فسورة الكافرون تسمَّى (الكافرون، والمقشقشة، والإخلاص)، وعند إمعان النَّظر فيها نرى أنَّ هذه المعاني ترجع كُلُّها إلى مقصد واحد وهو البراءة من الكافرين وهذا من الإخلاص.

ب- إذا كانت أسماء السُّور غير توقيفيَّة، فهذا يعني أنَّ هذه الأسماء قد تدلُّ على المقصد من السُّورة، وقد تدلُّ على معنى أو لفظ واردٌ في السُّورة[652]

3- قد يُذكر المقصد العام من السُّورة في بدايتها ويتكرَّر ذلك في مواضيعها:

وقد أشار إلى ذلك أحمد بن إبراهيم الزبير الثقفي(ت708هـ)، فرأى أنَّه لمَّا افتتحت سورة الأنبياء بقوله تعالى ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُم وَهُم فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ١** ﴾ (الأنبياء/1)، وجاءت هذه الآية الكريمة في معرض التهديد، تكرَّر ذلك في مواضع منها

---

(646) ينظر: البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، 1/ 149
(647) ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسُّور، 1/ 41
(648) ينظر: ابن قيم الجوزي، زاد المعاد في هدي خير العباد، 1- 2/ 307
(649) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 1/ 55
(650) ينظر: في ظلال القرآن، 4/ 2452
(651) ابن الزبير الثقفي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، 22-23
(652) ينظر: محمد بن عبد الله الربيعة، علم مقاصد السُّور، 16

الآيات الكريمة من الأنبياء(35، 37، 38، 39، 46، 47، 49، 93، 98، 104) فهذه الآيات الكريمة يتخلّلها التهديد وشديد الوعيد حتى لا تكاد تجد أمثال هذه الآي في الوعيد والإنذار بما في الساعة وما بعدها وبين يديها في نظائر هذه السورة [653].

وأشار إلى ذلك محمود البستاني في معرض تفسيره لسورة الحج: ((ويلاحظ أنَّها قد استهلت بالحديث عن قيام الساعة وأوَّلها، وهذا يعني أنَّ أهوال الساعة وما يرتبط بها من المواقف والأحداث، سيشكل العصب الفكري للسورة، وبالفعل سنجد انعكاس ذلك على مقاطع السورة وأقسامها، بنحو يكشف عن مدى الإحكام الهندسي لها))[654].

4-تكرار بعض الآيات في السورة وأثر ذلك في استنباط مقصدها:

فقد ذكر الشريف المرتضى (ت436هـ)، القصد من تكرار قوله تعالى من سورة الرحمن: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٣ ﴾ (الرحمن/13)، ((فأمّا التِّكرار في سورة الرَّحمن فإنّما حسن للتقرير بالنعم المختلفة المتعدِّدة، فكلَّما ذكر نعمة أنعم بها قرَّر عليها، ووبَّخ على المكذِّبين بها))[655]. فلو نظرنا إلى سورة الرحمن نظرة كلية، وتأمَّلنا مطلعها وخاتمتها، وتدبَّرنا آياتها والروابط التي توحِّد السُّورة تحت مضمون واحد والتكرار الذي يعضد تلك الروابط ويخدمها، و تعرَّفنا على سبب نزولها، لتوصَّلنا إلى الغرض الذي أُنزلت من أجله وهو التذكير بنعم الله والتوبيخ على نكرانها.

أمّا محمد تقي المدرسي فإنَّه يرى أنَّ الهدف من تكرار الآية ((تعريفنا بربّنا كخطوة أولى تنقلنا بها إلى الهدف الأسمى من المعرفة ألا وهو العبادة بتمام المعنى، أترى هذه النعم كلها جاءت لهدف ودور محدَّد هو مصلحة الإنسان))[656]

ويلحظ محمد الغزالي(ت1416هـ) أثر تكرار مادة التَّقوى في فهم مقصود سورة البقرة: ((وخلال المتَّقين التي احصتها سورة البقرة كثيرة، فقد تكرَّرت مادَّة التَّقوى خلال السُّورة بضعاً وثلاثين مرَّة، لا تشبهها في ذلك سورة أخرى، والتَّقوى هي الصِّفة الجامعة التي طلبت من سائر الأمم في شتى الرَّسالات))[657]. فالتكرار في القرآن الكريم له مقاصد جمة، كما وأَنَّه يعد أحَّد آليات الكشف عن مقاصد السور.

5-المكي والمدني وأثره في كشف مقصود السُّورة:

لقد تتبَّع مفسِّري القرآن مكي ومدني السُّور وأثره في بيان مقاصد السُّور واستنباط محاورها الرَّئيسة، فقد اعتمد سيد قطب(ت1385هـ)، فإنَّه قد على ملامح الفترة الزمنية في بيان مقاصد السُّور، من ذلك لبيانه لمقاصد سورة الحج، فيرى أنّ:((الذي يغلب على السُّورة هو موضوعات السور المكِّيَّة، وجوُّ السور المكِّيَّة، فموضوعات التوحيد والتخويف من الساعة، وإثبات البعث، وإنكار الشرك، ومشاهد القيامة، وآيات الله المبثوثة في صفحات الكون، بارزة في السورة وإلى جوارها الموضوعات المدنية من الإذن بالقتال، وحماية الشَّعائر، والوعد بنصر الله لمن يقع عليه البغي وهو يردُّ العدوان، والأمر بالجهاد في سبيل الله))[658].

وارتكز ناصر مكارم الشِّيرازي على الفترة الزَّمنية من نزول السُّورة لمعرفة مقاصد السُّور، من ذلك كشفه لسورة فاطر ((ولكونها مكِّيَّة النُّزول، فإنَّ محتواها العام يعكس الملامح العامَّة للسُّور المكِّيَّة، كالحديث عن المبدأ والمعاد والتَّوحيد، ودعوة الأنبياء، وذكر نعم الله ومصير المجرمين يوم الجزاء))[659]، وكذلك اعتمد على مدنية سورة المجادلة لبيان مقصدها، ((نزلت هذه السُّورة في المدينة، وانسجاماً مع موضوعات السُّورة المدنيَّة، فإنَّها تتحدَّث في الغالب عن الأحكام الفقهيَّة، ونظام الحياة الاجتماعيَّة، والعلاقات بين المسلمين وغيرهم))[660].

([653]) ينظر: ابن الزبير الثقفي، أحمد بن إبراهيم: البرهان في تناسب سور القرآن، 131-132
([654]) محمود البستاني: التفسير البنائي للقرآن الكريم، 3/ 181
([655]) المرتضى، أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد، 1/ 141
([656]) المدرسي، محمد تقي، من هدى القرآن، 10/ 136
([657]) محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، 11
([658]) سيد قطب، في ظلال القرآن، 4/ 2406
([659]) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزَّل، 11/ 5
([660]) المصدر نفسه، 14/ 5

6-قد يكون في السُّورة قصَّة تدلُّ على مقصدها:

وقد تتبَّع ذلك واهتم به البقاعي، فقد اعتمد على قصَّة المخلَّفين عن غزوة تبوك في بيان مقصد سورة التَّوبة، يقول:((وأدلُّ ما فيها على الإبلاغ في هذا المقصد قصَّة المخلَّفين فإنَّهم- لاعترافهم بالتَّخلُّف عن الدَّاعي بغير عذر في غزوة تبوك المحتمل على وجه بعيد منهم رضي الله عنهم للإعراض بالقلب- هجروا، وأعرض عنهم بكلِّ اعتبار حتَّى بالكلام))[661].

وأشار سيِّد قطب إلى تلك الوسيلة، ومن أمثلة ذلك ما ذهب إليه في تفسيره لسورة النمل بقوله: ((هذا الدرس ختام سورة النمل، بعد استعراض حلقات من قصص موسى وداود وسليمان وصالح ولوط عليهم السلام وهذا الختام متصل بمطلع السورة في الموضوع. والقصص بينهما متناسق مع المطلع والختام. كل قصة تؤدي جانباً من جوانب الغرض الذي يعالجه سياق السورة كلها))[662]

وتابعه في ذلك الطباطبائي(ت1402هـ)، في بيان مقصد سورة الجنِّ، إذ جعل محور سورة الجنِّ الرئيس هو القصَّة، يقول: ((تشير السورة إلى قصَّة نفر من الجنِّ استمعوا القرآن فآمنوا به وأقرُّوا بأصول معارفه))[663].

فالذي يتدبَّر القرآن الكريم يلاحظ أنَّ تكرار القصص في سوره جاء متناغماً مع مضمون السورة ومحتواها؛ لذلك نجدها تتكرر بأساليب مختلفة وتركِّز على جوانب معيَّنة من القصة توائم سياق ومرحلة السورة الواردة فيها.

7-وقد يُعتمد على حدث بارز أو ظاهرة بارزة في بيان مقصد السورة:

اعتمد البقاعي(ت885هـ) على هذه الآليَّة لبيان مقصد سورة النَّحل، يقول: ((وأدلُّ ما فيها على هذا المعنى أمر النَّحل لما ذكر من شأنها من دقَّة الفهم في ترتيب بيوتها ورعيها وسائر أمرها من اختلاف ألوان ما يخرج منها من أعسالها، وجعله شفاء مع أكلها من الثمار النافعة والضارَّة، وغير ذلك من الأمور))[664].

وهذا ما تجه إليه أيضاً الطباطبائي(ت1402هـ)، إذ اعتمد على قصَّة التَّشكيك في نبوَّة الرَّسول محمد، ورميهم إيَّاه بأنَّه بشر ساحر بل ما أتى به من أضغاث أحلام بل مفتر بل شاعر، وهذا ما جعل مقصد السُّورة يدور حول النبوَّة[665].

8-دور الاستقراء في استنباط مقاصد السُّور:

ومن طليعة الذين اعتمدوا الاستقراء كآليَّة لاستنباط المقاصد، الإمام الشاطبي(ت791هـ)، ((معتمداً على الاستقراءات.. ومبيِّناً أصولها النَّقليَّة بأطراف من القضايا العقليَّة... في بيان مقاصد الكتاب والسُّنَّة))[666].

لقد مثَّل الاستقراء الدَّور الرَّئيس في إثبات ((المقاصد الأصليَّة التي جاء القرآن لتبيانها، فلَئِلَمَّ بها الآن بحسب ما بلغ إليه استقراؤنا وهي ثمانية أمور))[667]، وقد اعتمد الطباطبائي (ت1402هـ) على الاستقراء في بيان مقاصد السور، من ذلك توصَّل إلى مقصد سورة فاطر، بعد استقراء جميع آياتها، وتوصَّل إلى أنَّها جاءت لتبيِّن الأصول الثَّلاثة: وحدانيَّة الله تعالى، ورسالة الرَّسول، والمعاد إليه وتقرير الحجَّة لذلك[668].

---

(661) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسُّور، 8/ 350
(662) سيِّد قطب، في ظلال القرآن، 5/ 388
(663) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، 20/ 38
(664) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 11/ 101
(665) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، 14/ 244
(666) الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، 1/ 23
(667) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 1/ 39
(668) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، 17/ 5

وناصر مكارم الشِّيرازي اعتمد على آليَّات الاستقراء في حصر مقاصد السُّورة، فبعد استقراء جميع آياتها بالتَّدبُّر، يقول[669]: يمكن تلخيص محتوى السُّورة: السُّؤال عن النبأ العظيم، وهو يوم القيامة، الاستدلال على إمكانيَّة المعاد والقيامة، بيان بعض علامات البعث، تصوير جوانب من عذاب الطُّغاة الأليم، التَّشويق للجنَّة.

نستخلص أنَّه لابدّ أن يكون الاستقراء كلياً يتناول جميع أجزاء السُّورة، وينبغي على المتدبِّر في مقصد السورة أن يبتعد عن الاستقراء الجزئي للسورة؛ لأنَّ ذلك يوقعه في الخطأ في الوصول إلى المقصد الأصلي للسورة، فاستخلاص مقصد السورة بالاعتماد على قراءة أية أو آيتين، أو على مقطع من مقاطع السورة يختلف عن المقصد الذي يستخلصه من النظرة الكلية والاستقراء الكلي الذي يعتمد على الربط بين السياقات القرآنية.

9-دور السياق في الكشف عن مقصد السورة:

نجد أنَّ العلماء قد أولوا السياق أهمية بالغة، وذكروا أقوالاً تبيّن دوره في الكشف عن مراد الله تعالى من قرآنه المجيد، من ذلك ما ذهب إليه الزركشي من أنَّ السياق ((هو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته))[670] وقال ابن دقيق العيد ((أمّا السياق والقرائن، فإنَّها الدالَّة على مراد المتكلِّم من كلامه))[671] إلى ذلك من الأقوال الكثيرة تؤكد على دور السياق في استخلاص مقصد السورة.

الخاتمة

1-ورد مفهوم مقاصد السور عند المفسرين باستعمالات مختلفة لم يتفق عليها القدامى أو المحدثين، وأول من ذكر مصطلح مقاصد السور هو البقاعي.

2-ووجدنا أنَّ هناك مجموعة من الخصائص التي تميَّز بها مقصد السورة، وهذه المميزات يمكن جعلها ضوابط لابد من الأخذ بها عند محاولة الكشف عن مقصد السورة.

3-كما أنَ هناك مجموعة من الوسائل الكشفية التي تساعد المفسِّر على الوصول إلى المقصد العام من السورة وإلى مقاصد السورة التي تعضد المقصد العام، ومن المفسرين من استعمل هذه الوسائل ووقفوا من خلالها على مقاصد السورة بقصد الوصول إليها، ومنهم من استعملها دون قصد منهم في الكشف عنها.

فهرس المصادر والمراجع

1. البقاعي إبراهيم بن عمر، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1987.
2. البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، **دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.**
3. ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، تحت إشراف وزارة الشؤن الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 2004.
4. الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423 هـ.
5. حسن البنا، مقاصد القرآن الكريم، بإشراف وجمع وتوثيق: أحمد سيف الإسلام حسن البنا، دار الوثيقة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2004.
6. حسن البنا، نظرات في كتاب الله، جمعه وحققه وعلق عليه: عصام تلميعه، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، ط1، 2002.

([669]) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل، 15/ 8

([670]) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 2/ 200

([671]) ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، مطبعة السنة المحمدية، (د-ط)(د-ت)، 2/ 21

7. الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم، ط4، 1998.
8. ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، مطبعة السنة المحمدية، (د–ط((د–ت).
9. الرازي، فخر الدين ابن ضياء الدين عمر، التفسير الكبير، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1981.
10. ابن الزبير الثقفي، أحمد بن إبراهيم، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت،(د–ط) (د–ت).
11. الزحيلي، وهبة مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر آفاق معرفة متجددة، دمشق–البرامكة، ط10، 2009.
12. السبزواري، السيد عبد الأعلى الموسوي، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، مطبعة نكّين، قم، ط5، 2010.
13. سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د–ت)،(د–ط).
14. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط17، 2004.
15. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت –لبنان، ط32، 2003.
16. الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، (د–ط)، (د–ت).
17. الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوي، أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى بابي الحلبي وأولاده، مصر، (د–ط)،(د_ت).
18. الشيرازي، ناصر مكارم، الأخلاق في القرآن، مطبعة أمير المؤمنين، قم، ط2، 1426هـ.
19. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، جماعة المدرسيين في الحوزة العلمية، قم، (د–ط)،(د–ت).
20. طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2006.
21. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.
22. عبد الوهاب أبو صفية الحارثي، دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، (د– ن)، عمان، (د–ط)، ١٤٠٩هـ.
23. ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، وقدم له: جودة محمد أبو اليزيد المهدي، طبع على نفقة الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، 1999.
24. الفراهي، عبد الحميد الهندي، دلائل النظام، المطبعة الحميدية، 1388هـ.
25. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق الأستاذ: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامي لجنة إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف، القاهرة، ط3، 1996
26. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط27، 1994.
27. محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، اعتنى به: أحمد مصطفى فضيلة، دار القلم، الكويت، 2005.
28. محمد عبد الله الربيعة، علم مقاصد السور، مكتبة الفهد الوطنية، ط1، 1432هـ.
29. محمد عزت دروزة، التفسير الحديث(مرتب حسب أسباب النزول)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1383هـ.
30. محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط7، 2005.
31. محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط4، 2000.
32. محمود البستاني، التفسير البنائي للقرآن الكريم، مؤسسة الطبع التابعة للاستانة الرضوية، 1422هـ.
33. محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم (الأجزاء العشرة الأولى)، دار الشروق، القاهرة، ط13، 2004.
34. المدرسي، محمد تقي، مقاصد السور في القرآن الكريم، دار المحجة البيضاء، بيروت–لبنان، ط2، 2013.

35. المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1946.
36. مشهور موسى مشاهرة، التناسب القرآني عند الإمام البقاعي (دراسة بلاغية)، (رسالة ماجستير) الأردن، عمان، الجامعة الأردنية، 2001.
37. المهايمي، علي أحمد، تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن، مطبعة بولاق، القاهرة، (د–ت)